كلمة بمناسبة الطّبع الثّانى

لمّاظهر الطّبع الأول لكتابنا هذا و قلبتُه ظهراً على بطن، عثرتُ على موارد تَطرّقَتْ إلى هذا المولود الجديد وفاتَنى استدراكها مع أنّى قد بذلتُ جُهدى الكثير فى تـصحيح النُسَـخ المطبعيّه و تطبيقها. فلم يكن فرحى بما رأى النّورَ أكثَر من أسفى ممّا أصابه مـن النُّـقَط السوداء، و تَيقّنتُ أنّ المحاولة لا تُنْجى ممّا بدَر، و أنّ الصّبر من أسباب الظَّفَر؛ فكلّ مـا استطعتُه أن نَبَّهْتُ الطلاب على تلك النُقَط، و أخْبَرتُ الأصحاب بتلك الفُرَط.

و فى الوقت نفسِه تمنَّيتُ إتاحةَ فرصةٍ جديدة لإعادة طبع الكتاب أكثر تصحيحاً و تنقيحا إذا ساعدتنى الأيام؛ كما سلّيتُ نفسى أنّ كثيراً من السُّخط و النقد مُنبعثٌ من سنّة الكون و أصل النّشوء و الارتقاء، و أنّ الشخصَ فى اليوم غيرُه غداً، و ما كـان يُـرضيه أمْسِ يكرهُه الآن. و ما ذلک إلاّ لأنّ الإنسان طُبع على أن يهوَى الكمال، أو يسعى دائما وراء مالايُنال. فيسرّنى اليوم أنّ مُنظّمة «سمت» استقرّ رأيُها على إعادة طبع هذا الأثر، مع مراجعات خفيفة و ملاحظات زهيدة لعلّها تضعُ وزراً عن ظهر صاحبه.

و فى الختام أشكر «سمت» على هذه الخطوة المباركة، لا سيّما عميدها الجليل الذى يستوجب ثنائى الجميل.

محمد فاضلى

التَّصدير

يَسرّني أن ظهر هذا العمل المتواضع في مقطع من الأدب العربي إلى دائرة الوجود و رأى النّور، و أن ساهمني فيه بالتعقيب بمقاطع مـن أدب صـدر الإسـلام و العـصر الأمـوي الأستاذان الجليلان: السّيد الدّكتور «علي مير لوحي» و السّيد الدّكتور «محمد حسيني».

فالعملُ ليس كلَّ مانَوينا، كما أنّه ليس كلَّ ما قرَّره و رَجاه اجتماعُ أساتذة اللغة العربية بجامعات إيران، في مؤتمر إشاري عقدَتْه منظّمةُ «سـمت» فـي ١٧/٨/١٣٧٥. لكنّنا نتسلّى بملاحظات:

أولاً ـ أنّ سنن الحياة جَرت على أن يعيش الإنسان مع نواياه و آماله في عـالم الرّؤيا لاالواقع،

«ما أضيقَ العيشَ لو لا فسحةُ الأمل»

و أن يغتبط بأشباح أمانيه دون إدراك نفسها:

ما كـلّ مـا يَـتمنّى المَـرءُ يُـدرِكه تَجْري الرّياحُ بما لا تَشْتَهي السُّفنُ

ثانياً ـ أنّ ما لا يُدرَك كلّه لا يُترك كلّه.

ثالثاً ـ أن العمل مع تواضعه يتقدم في سبيل تحقيق قرار ذلك المؤتمر.

لعلّ هذا العملَ أوّلُ أثرٍ جمعي قام بإخراجه منظّمةُ «سمت» في اللغة العربية و آدابها، فلم يكن غريباً أنْ يُواجه صعوباتٍ في سبيل ظهوره و يعبُرَ عقباتٍ في طريق صدوره، و يُعاني تذاؤبَ رياحٍ هُوجٍ تهبّ في إطفاء نوره لولا مساعدة عميد هذه المنظمة الكريم.

و للّهِ الحمدُ أولاً و آخراً على ما أنعم به علينا من التوفيق في جمع هذا الرّطب و اليابس و إخراجه، فإن أحسنّا فهو فضل اللّه من حيث لم نحتسب، و إن أسأنا فـهو مـن أنفسنا عالمين أنّه ليس أوّلَ خطأ وقع فيه الإنسان، لأنّ الكمال للّه وحده.

محمد فاضلي

تمهيدٌ في الأدب العربي الجاهلي: شعرِه و نثرِه

-١-

معنى الجاهليّة:

يتناول العصر الجاهلي أجيالاً عاش فيها العرب قبل الإسلام، و دانوا بمبادئ و عادات و تقاليد مؤدّية إلى نوع من الهَمجيّة و الحميّة و التنازع و الحروب و تفرُّق القبائل و عبادة الأوثان. فالجاهليّة التي تعني أحوال أهل هذا العصر، تُرادِفُ الغضبَ و الطيش و النَّـزق التي هي ضدّ الحلم و العقل، لا الجهالةَ المتناقضة للعلم و المعرفة. و الكلمة بهذا المعنى ليست غريبة في استعمالاتهم، ألا ترى قول الشَّنْفَرى في لاميَّته:

و لا تزدَهي الأجهالُ حِلْمي و لا أُرىٰ سَـؤولاً بـأعقابِ الأقـاويلِ أنْـمِلُ[١]

و قولَ عمرو بن كلثوم في مُعَلّقته:

ألا لايَــجْهَلَنْ أحَــدٌ عـلينا فنجهلَ فوقَ جَهْلِ الجاهلينا[٢]

إنّ الجاهليّة عنوان أطْلَقه القرآنُ على أحوال العرب في تلك الفـترة، و شـاعت الكلمة و دارَتْ في آيات و روايات متعددة تُؤدّي إلى أنّها تقابل كلمة الإسلام التي تدلّ على الخضوع و الطّاعة للّه، و ما يُطوى فيها من خلق كريم.

كقوله تعالى:

﴿خُذِ العَفوَ وَأمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِضْ عنِ الجاهلين﴾[٣]

و قوله:

---

١. *ديوان الشنفرى*؛ ص ٦٩. تزدهي: تستخف. أنْمل: أنِمُّ.

٢. شرح *المعلقات العشر*، للتبريزي، ٢٥٧. ٣. الأعراف، ١٩٩.

﴿و عبادُ الرَّحمنِ الّذين يمشُونَ على الأرضِ هَوناً و إذا خاطَبهم الجاهلونَ قالوا سَلاما﴾[١]
و في الحديث أنّ الرّسول قال لأبي ذرٍّ و قد عَيَّر رجلاً بأمّه:
«إنّكَ امرُؤٌ فيكَ جاهليّةٌ»[٢].

-٢-

الأدبُ، أوّليتُه و آفاقُه:

المراد من «الأدب» هنا هو المعنى الخاصّ للكلمة،أعني: المأثور من الشعر و النثر، أو الكلامَ الجيّد المرويّ شعراً و نثراً. للأدب حتى فى معناه الضيّق فوائدُ جَمَّة، من أجَلِّها:

الف ـ أنّه صِقالٌ تَحْتَكُّ به العقولُ فيزول صدؤها.

ب ـ أنّه تتعلّق به الألسنةُ فتعذب ثمارُها.

ج ـ أنّه تتعرّض له الطباعُ فتلين جوانبها، و تَرِقّ حاشيتُها.

د ـ أنّه وسيلة القدوة الحسنة، و التهذيبِ الناجح في تربيةِ المَلَكات، و إعدادِها للإنتاج القيّم.

هـ ـ أنّه وسيلةُ البلاغ و ذريعةُ الرّسل.[٣]

و الأدب العربي بالمعنى المحدَّد قديمُ النشأةِ جدّاً؛ لأنّ العرب قَضَوا أجيالاً لا يعرف مقدارها إلا اللّهُ، فاستغلّوا الشعرَ و النثر حينئذٍ في حاجاتهم و قضاء مآربهم، غير أنّه لم يصل إلينا من نتائج هذه الأجيال شيءٌ كثير.[٤] روى يونس بنُ حبيب عن أبي عمرو بن العلاء أنّه قال: «ما أنْهى إليكم مما قالت العربُ إلاّ أقلُّه، و لو جاءكم وافراً لجاءَكم علمٌ و شعرٌ كثيرٌ»[٥]. و كل ما نعرف اليوم ممّا قالته العرب لا يستغرق زمناً طويلاً، و لا يَعْدُو

---

١. الفرقان، ٦٣.

٢. *تاريخ الأدب العربي*؛ شوقي ضيف؛ ١ /٣٨ـ٣٩، و *تاريخ الأدب العربي*؛ عمر فرّوخ؛ ١ /٧٣، و *الأدب العربي و تاريخه في العصر الجاهلي*؛ ص ٦، و *تاريخ الأدب العربي*؛ حنّا الفاخوري؛ ص ٥١.

٣. *الأدب العربي و تاريخه*؛ ص ١٦ـ١٧.

٤. *تاريخ آداب اللغة العربيّة*؛ ١٣ /٨٩.

٥. *المزهر في علوم اللغة و أنواعها*؛ ٢ /٤٧٤.

تاريخُه ١٥٠ سنةً قبل الهجرة.[١] و لعلَّ هذا هو مرادُ الجاحظ حينما يقول:

«و أمّا الشعر فحديثُ الميلاد، صغيرُ السِّنّ، أوّلُ من نَهَج سبيلَه و سهّل الطريق إليه: امرؤالقيس بنُ حُجر و مُهَلْهِلُ بنُ ربيعة...فإذا استظهرنا الشعرَ وجدنا له إلى أن جاء اللّهُ بالإسلام خمسين و مئة عام، و اذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمئتي عام»[٢].

و جديرٌ بالذكر أنّ هذا المولود الحديث لا يُمثّل أوليّةَ الشعر العربي و لايُماشى قانون النشوء و الارتقاء في غير ذلک [٣]؛ لأنّه بالغ كامل قد تسنَّم ذُروة النُّضْج والرُّقي و لم يُسْمَع بمولودٍ خلقِ ساعةٍ بلغ حد الكمال، و لا بظاهرةِ يومٍ و ليلة قد أطلّت على الحسن و الجمال. فلهذا و ذلک نرى أنّ ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي شعرُ عصر البلوغ و الرّقيّ الأدبي، حتى أنّه فى الغالب جاوز الحريّة و ظهر عليه آثارُ الصَّنْعة و التقليد. ذلک أنّ الشعر الجاهلي الذي بين أيدينا تتوفّر فيه قيودٌ كالوزن و القافية، و مناهجُ في التراكيب و الأخيلة والموضوعات و هيكل القصيدة، فحاول الشعراء أن يحافظوا عليها و يَتَّبعوا سبيلها.

فمن رجع إلى النماذج الجاهليّة من القصائد الطوال، لاحظ أنّها اتّخذت نمطاً معيناً في التعبير و الأداء و المنهج، و هذا النمط في تلک المطوّلات القديمة يدلّ دلالة قاطعة على أنّ صناعة الشعرِ استوى لها غيرُ قليلٍ من القيود و التقاليد. فالأساليب المتّبعة تجعلنا نؤمن بأنّ الشاعر الجاهلي لم يكن حرّاً في صناعة شعره يصنعه كما يريد؛ لأن حرّيته كانت مُعطّلة إلى حدّ ما، فهو يخضع لتقاليد تتناول ما يقوله و كيف يقوله، كما تتناول ما ينظم فيه و الطّريقة التي يُعبّر بها عن تجاربه.

و الشّاعر الجاهلي لم يک غافلاً عن أعباء هذه القيود التي ضيّقت عليه أجواءَ الطّيران، و لم يُخفِ شكواه منها. فهذا هو «امرؤالقيس» يشير إلى قيد المنهج المتّبع، فيقول:

عُوجا على الطَّلَل الُمحيلِ، لعلّنا نَبْكي الدّيارَ كما بَكى ابنُ خِذامِ[٤]

و الآخرُ «عنترة»، كأنّه يعني أغراضَ الشعر و أبوابَه، فيقول:

---

١. *فجر الإسلام*؛ ص ٥٨.
٢. *الحيوان*؛ ١/ ٧٤.
٣. أي في غير ما نحن بصدده.
٤. عُوجا: ميلا و اعطفا. الُمحيل: الذي أتى عليه حول. ابن خذام: شاعر قديم يُقال إنّه بكى الدّيار قبل امرئ القيس.

هل غادَرَ الشّعراءُ مِنْ مُتَرَنَّم[١] أمْ هل عرفتَ الدّارَ بعدَ تَوهُّمِ

و زُهَيْرٌ يشكو اتّباعَ اللفظ و التركيب، فيقول:

مـــا أرَانـــا نـقولُ إلّا مُـعاراً أو مُعاداً في لفظِنا مَكْـرورا[٢]

-٣-

الشعر، أهميّته و خصائصُه:

في ما وصل إلينا من الأدب الجاهلي كان الشعرُ ـ مولودُ بَوادي نجد و الحجاز و ما إليهما[٣] ـ أكبرَ أقسامه روايةً، و أكثرَها حفظاً و اهتماماً بشأنه و قيمتِه. نقل السيوطي عن ابن فارس أنّه قال: و الشعرُ ديوان العرب، و به حُفظت الأنسابُ و عُرِفت المآثرُ، و منه تُعلّمت اللّغة، و هو حجّة فيما أشكَل من غريب كتابِ اللّه و غريب حديث رسول اللّه (ص) و حديث صحابته و التابعين»[٤].

إذا كان هذا شأنَ الشعر الجاهلي فلا عجب أنْ يكتسبَ الشاعرُ منزلةً مرموقة بين أفراد القبيلة، فتحتفل بنبوغه بينهم و تتلقّى تهانئ سائر القبائل، و تصنعَ الأطعمة، و تجتمعَ النساءُ و يَلْعَبْن بالمزاهـر مـثل الأعـراس، و يـتباشر الرّجـالُ و الولدان؛ لأنّـه حـماية لأعراضهم، و ذَبٌّ عن أحسابهم، و تخليدٌ لمآثرهم و إشادةٌ بذكرهم[٥].

و أنْ يُقدَّم على الخطيب و يكونَ أعزَّ منه بينهم «لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يُقيّد مآثرهم و يُفخّم شأنَهم و يُهوِّل على عدوّهم و من غزاهم، و يُهيّب من فرسانهم و يُخوّف من كثرة عددهم و يهابهم شاعرُ غيرهم، فيراقب شاعِرَهم»[٦].

و أنْ يُعدَّ الشعراءُ من أرقى الطبقات عقلاً؛ لأن ما صدر عنهم ديوانُ العرب و سجلٌّ

---

١. غادر: ترك. المُتَرَنَّم: الشيء الذي يُترنّم به. في شرح *المعلقات* للتبريزي و الزّوزني، الرّواية: «مُـتَرَدّمٍ» بمعنى ما يُشتَرْقَع و يُستصلح لِما اعتراه الخللُ و النقصُ. يريد الشاعر أنّ القدامى لم يتركوا له شيئاً إلّا تطرّقوا إليه و قالوا فيه الشعر.

٢. *الفن و مذاهبه في الشعر العربي*؛ ص ١٤ـ١٩.

٣. حنّا الفاخوري؛ ص ٥٨.

٤. *المزهر*؛ ٢ / ٤٧٠.

٥. *العمدة*؛ ١ / ٦٥.

٦. *البيان و التبيين*؛ ١ / ٢٤١.

سُجّلتْ فيه أخلاقهم و عاداتهم و دِياناتهم و عقلِيّتُهم، و إن شئتَ فقل إنّهم سجّلوا فيه أنفسهم[١].

هذا اللّون من الأدب الجاهلي ـ بسبب العوامل التي احتضَنَتْه و أنطقَتْه: من البيئة العامة و الأحوال السّائدة عليها ـ قد اتّخذ في طول حياته الأدبيّة طابعاً يخصّه و جرى مجرىً يمتاز به، فتلوَّنَ بتلك المؤثّرات و تَراءَتْ ظلالُها عليه. «ذلك ناموسٌ ينطبق على الشعر الجاهلي كما ينطبق على سواه كلَّ الإنطباق، فلقد جاء شعر الجاهليّة مليئاً بآثار بيئته. فهو شعرُ الصّحراء المترامية الأطراف و السّماء الصّافية الأديم، و البَداوَة البسيطة الّتي لا تعقيدَ فيها و لا غموض، و لا إغراق في صنعة أو تكلّف»[٢]. و إليک بعض هذه الخصائص و الميزات:

الأول ـ الخصائص المعنوية ، فمنها:

الف ـ كان أهمُ أغراض الشعر الجاهلي، الوصفَ و المدح و الرّثاء و الهجاءَ و الفخر و الغزل و الخمر و الزّهد و الحكمة.

ب ـ كانت معانيه ماديّةَ النزعة، فتُعرَض دائماً مجَسَّمةً في أشخاص أو أشياء محسوسة؛ فمثلاً الكرم و الوفاء و البخل و غيرُ ها من الفضائل و الرّذائل،لابدّ أن تقترن بشخص معيّن يدورُ الحديث عليه. هذه النزعة جعلت الشاعرَ لا يُحلّل خواطرَه و لا عواطفه من حبٍّ و غيره، و جعلته لا يتّسع بمعانيه بل يدور حول معانٍ كادتْ أن تكون مكرّرة.

ج ـ يحرص الشاعرُ الجاهلي أن يعرض معانيه الحسيّة متحرّكةً لا جامدة، كما يحرص أنْ يُعطيَها شيئاً من شخصيته، و كأنّه بذلک يَصوغها صوغاً جديداً[٣].

د ـ يجري على طبعه و سجيّته، فمعانيه واضحةٌ بسيطةٌ و أفكاره جليّة، لا غموضَ فيها و لا تعقيد. ثم إنّه لا يسعى وراء الإحاطة و الشمول و لا التخريج و التعليل[٤].

---

١. *فجر الإسلام*؛ ص ٥٦.
٢. *المفيد فى الأدب العربى*؛ ١ /٤٤.
٣. *تاريخ الأدب العربي*؛ شوقي ضيف ؛ ١ /٢١٩ـ٢٢٢.
٤. *تاريخ الأدب العربي*؛ عمر فروخ؛ ١ /٧٦.

هـ ـ كانت صوره الخياليّة مستمدّةً من بيئته العامّة: صحرائها و حيوانها و نباتها، و عادات سكّان أهلها و عقائدها و أساطيرها؛ فلا عجب أن لا يلائم بعضُ هذه الأخيلة ذوقَنا العصري و لا يوافقَ فطرتَنا اليومَ، و ذلک مثل تشبيه «الأصابع» بالـ«أساريع» في قول امرئ القيس:

و تَعطو برَخْصٍ غيرِ شَثْنٍ كأنّه أساريعُ ظَبيٍ أو مَساويکُ إسْحَل[١]

و ـ لا يحرص الشّاعر على التأنّق في ترتيب المعاني و الأفكار، فلا تأتي معانيه على النّظام الذي يقتضيه الذوق، فيُدخِل معنى في معنى و ينتقل من غرض إلى آخر، فيكثر الاستطراد و الاقتضاب بلا تخيّل و لا تلطّف[٢].

الثاني ـ الخصائص اللفظيّة ، فمنها:

الف ـ إجادة اختيار الكلمات و إحسان استعمال الألفاظ في معانيها الموضوعة لها، لمعرفتهم الدقيقة باللغات.

ب ـ متانةُ التّركيب و بلاغة الأداء.

ج ـ القصدُ في استعمال ألفاظ المجاز، و مَقْتُ الأعجميّ إلّا ما وقع نادراً.

د ـ عدمُ تَعمُّدِ المحسِّنات اللفظيّة إلّا ما جاء عفواً[٣].

ـ ٤ ـ

النثر ، فنونُه و خصائصُه:

و القسم الآخر من الأدب الجاهلي النثر؛ فهو و إن كان أقدمَ نشأةً و دَوَراناً على الألسن، إلّا أنّ شخصه و صَوْغه و أسلوبه لم يكن مَعْنيّاً بها مثل الشعر،و أيضاً أنّه لم يَحْظَ بالوزن و

---

١. الرَّخص: اللّين الناعم. الشَثْن: الغليظ الجاف. الأساريع، جمع أشروع و يَشْروع: دودٌ يكون في البقل و الأماكن النديّة . «ظَبْي»: موضع بعينه. الإسْحَل: شجرة تُتَّخذ منها المساويک. شبّه الشاعر أناملَ النساء في النُّعومة بدود هذا الموضع، فذوقنا اليوم لا يرضى بهذا التشبيه (شرح *المعلقات السبع*؛ الزوزني؛ ص ٢٤).

٢. *جواهر الأدب* ؛ ص ٣٤٤. ٣. *المصدر نفسه*؛ ٣٤٤.

الموسيقى الخاصّة كالشعر فيسهل له أمرُ الحفظ و يُقدَّر له الخلودُ و البقاء. لهذا و ذلک لم يصل إلينا منه إلا شيءٌ قليل و قدرٌ يسير لا يقاس بالشعر المرويّ بين الناس كثرةً و قيمةً. قال صاحبُ *العمدة*: «اجتمع جميع الناس على أنّ المنثور في كلامهم أكثر و أقل جيّداً، و أنّ الشعر أقلُّ و أكثر جيداً محفوظاً» ثم أضاف: «و قيل ما تكلمت به العربُ من جيّد المنثور أكثر ممّا تكلّمت به من جيّد الموزون، فلم يُحفظ من المنثور عشرُه، و لا ضاع من الموزون عُشرُه»[١].

كان العرب الجاهلي يستخدم النثر لأغراض مختلفة في مرافق حياته الشخصية والاجتماعية لكن في صورها المحدّدة، فوصل إلينا منه نماذجُ قليلة في قالب فنونٍ متنوعة، كالمثل و الخطابة و بعض القصص.

المثل:

هو عبارةٌ قصيرة تتضمن ثِمارَ اختبار طويل و نتاج عقل راجح و لطائف مصقولة، تتكرّر على ألْسُن النّاس في موارد متناسبة أو حوادث متشابهة.

تنقسم الأمثال المأثورة من العرب إلى قسمين:

الف ـ حكمية، كان الغرض منها في الأصل الإرشادَ و إرائةَ الطريق في مواجهة مشاكل الحياة، كقولهم: غثُّک خيرٌ مِنْ سمينِ غيرِک. لا تَنطَحُ جَمّاءُ ذاتَ قَرْنٍ. حافِظْ على الصّديق و لو في الحريق.

ب ـ أمثال مبنيّة على الحوادث، و هي خاصّة بهم لأن الحوادث جرَتْ لهم، كقولهم: في الصّيفِ ضَيّعْتِ اللّبنَ. لأِمْر مّا جَدَعَ قصيرٌ أنفَه[٢].

الخطابة:

كانت الخطابةُ هي اللّونَ الغالبَ على النثر الجاهلي و أكثرَ فنونه في الاستعمال والاستمداد منها، فعرف العرب أقساماً مُحدَّدة منها تُلائم حياتهم القبليّة قبل الإسلام بزمن طويل؛ مثل:

الف ـ خُطَب الحضِّ على القتال و الأخذ بالثأر، كخطبة هانئ بن قَبيصة الشيباني؛

ب ـ خُطَب إصلاح ذات البين و الدّعوة إلى الصّلح و حَقْن الدِّماء؛

---

١. *المصدر نفسه*؛ ١ / ٢٠.

٢. *مؤلفات جرجي زيدان*؛ ١٣ / ٧٠ـ٧١.

ج ـ خُطَب الإملاک أو الزّواج: کان من عادة العرب عند الزّواج أن يتقدّمَ رجلٌ شريف من جانب قوم الرّاغب في الحياة العائلية، فيخطبَ في المجلس و يُعدّد مآثرَ الشابّ، ثمّ يجيبه رجلٌ من رهط المرأة کذلک بمثل مقاله، کخطبة أبي طالب عند رَهْط السيدة خديجة.

د ـ خُطَب الإرشاد أو الوصايا: يتولّاها من له رأيٌ مسموعٌ و منزلةُ حکيمٍ ناصحٍ، أو رجلٌ احْتَنَکه الدّهرُ فجرَّب حلوَه و مرَّه. يختلف الوصايا عن الإرشاد في أنّ الأوّل يقوم به في الغالب مَنْ يُحسّ بدنوّ الموت و يُحبّ أن يُعطي قومَه تجاربَه، فيوجّه إليهم خطابه؛[١] فآفاق خطب الوصايا أضيق من الإرشاد.

هـ ـ خُطبُ المنافرات و المفاخرات: فهذا اللّون من الخطب کما يقول محمد هاشم عطيّة: «يقع على جهة المحاورة بين رجلين، ثمّ يتورّط أحدهما أو کلاهما فينزع بهما الجدالُ إلى المنافرة، و هي التّحاکم إلى الأشراف من حکّام العرب ليفصل بينهما و يقضى الحکمُ لأحدهما أو يُسوّى بينهما. و من ذلک ما وقع لعامر بن الطفيل و علقمة بن عُلالة العامريين»[٢].

عادة الخطباء: من عادة الخطباء کما قال الجاحظ: «أن تخطب بالمخاصر، و تعتمد على الأرض بالقِسيّ، و تشير بالعِصيّ و القنا!»[٣].

القِصَص:

کانت القِصَصُ في الجاهليّة أسماراً تدور حولَ أيّامهم، أو مغامراتٍ جَرتْ بينهم أو تضحياتٍ في حفظ الذِّمار و حماية الجار، مثل يوم ذي قار و بطولة عنترة و وفاء سموأل[٤].

خصائصُ النثرِ الجاهلي:

من خصائص العامّة للنثر الجاهلي هذه الموارد:

---

١. *الخطابة في عصرها الذّهبي*؛ص ٧.

٢. *الأدب العربي و تاريخه في العصر الجاهلي*؛ ص ٧٩.

٣. *البيان و التبيين*؛ ١ /٣٧٠.

٤. راجع في القصص و أيّام العرب: *العمدة*؛ ٢ /١٩٨ـ٢٢٥، و*قصص العرب* في أربع مجلدات.

الف ـ أنّه متينُ اللفظ و التركيب، و أنّه ينزع إلى الإيجاز و الموسيقى.

ب ـ أنّه كثير الفواصل و الموازنة، مُقْتَصِدُ السّجع قليل الصّناعة[١].

ج ـ أنّه يغلب على تراكيبه اللفظية حروف قوية كحروف الإطباق و القلقلة و الجهر و الحلق، أو حروفٌ رخوة لطيفة المنطق كأحرف الشفتين من اللّام و الميم و النون على حسب المقام، و كذلك تضعيفُ بعض الحروف أو تكريرها.

د ـ خلوّ المعاني من المبالغات المُفضية إلى الكذب.

هـ ـ فطرية المعاني و مُسايَرتها لطبائع الأشياء، فلا تنتهي إلى حدّ الفلسفة و التعمق و استخراج المعاني البعيدة[٢].

أمّا الخصائص التي تتعلّق بالخطبة، فهي الموارد الآتية:

الف ـ قِصَرُ الخُطَب بالنسبة إلى خُطَب العصر الإسلامي.

ب ـ هجوم الخطيب على الغرض بدون المقدمة و التمهيد، و الخروجُ منه بدون المحاولة لوضع خاتمة أو نهاية للخطبة.

ج ـ الاستشهادُ بالأشعار و الأمثال.

د ـ قِصَرُ الفقرات و الجمل.

هـ ـ غلبةُ السّجع و التّوازن[٣].

ـ ٥ ـ

التبويب و منهج العمل:

جعلتُ هذا التمهيد مدخلاً لما اخترتُه من روائع الأدب الجاهلي، التي بنيتُ عملي فيها على تمهيدٍ و ثلاثة اختيارات:

---

١. *تاريخ الأدب العربي*؛ حنّا الفاخوري؛ ص ٢٠٠، و *تاريخ الأدب العربي*؛ عمر فروخ؛ ص ٨٩.

٢. *الأدب العربي و تاريخه في العصر الجاهلي*؛ ص ٨٨.

٣. *الخطابة في عصرها الذّهبي*؛ ص ١٤ـ١٧.

الاختيار الأول في روائعَ من شعر المُعَلَّقات السّبع. وقع الاختيار بعد كثرة المراجعة و طول النظر و قلب الأبيات ظهراً على بطن، وملاحظة الجهات المختلفة من رَوْعة المعنى و جمال اللفظ، ثم قمتُ في مختارات كلّ معلقة بهذه الموارد:

أوّلاً ـ ترجمة للشاعر، موجزة مفيدة مبنيّة على المصادر المعتبرة.

ثانياً ـ تصدير المقاطع المختارة بتحليل لها يُسهّل تبيين آفاق تلك المقاطع.

ثالثاً ـ تفسير اللغات و التراكيب الصّعبة، و حيناً تبيين المراد من بعض الأبيات إذا اقتضى المقام ذلك.

رابعاً ـ إيراد تمارين متعدِّدة حول مسائل مختلفة: من جمال الأدب و بلاغته و نحوه، توسيعاً لآفاق معرفة الطّلاب و تعميقاً لنظراتهم و تأمّلاتهم.

الاختيار الثاني في روائع شعرية أخرى. جريتُ في هذا الاختيار على نهج الاختيار الأوّل، غير أنّني اكتفيتُ في موارد ببيان مناسبات المختارات عن التصدير بالتحليل.

الاختيار الثالث في روائع من النّثر الجاهلي. يختلف منهجي في الاختيار الأخير عمّا قبله، حيث جعلتُ الترجمة فى نهاية الإيجاز، و حذفت التحليل غالبا و قلّما أدْرَجتُه فى الترجمة، و تركتُ مسألة التفسير و التمرين على حالهما.

لم يأْتِ عملي في الاختيارات الثلاثة بنتَ يومٍ و ليلةٍ، و لم تكن حالي كحاطب اللّيل يُلقي في رحله التمرة و البعرة، بل بذلتُ فيه جهداً و ما ألقيتُ فيه عصا الشك و الوسوسة يوماً، ناوياً في ذلك كلِّه ما نوى أصحابُ كتاب *المنتخب من أدب العرب* من عملهم و هو أن يأتي الاختيار جميلاً رائقاً و جزلاً رائعاً، خفيف الموقع من الأسماع، لطيف المسلك إلى النفوس، يستطيع أنْ يَبْعث في قلوب الطّلاب حبَّ لغة القرآن و أدبها، و يُرغّبهم في الاستزادة منهما و التفقه فيهما. و توخّيتُ إلى ذلك كلّه أن يكون جُلُّ ما اخترتُه من الشعر و النثر سهلاً يسيراً، يُلائم حالةَ الطّلاب و طاقتَهُم[١].

محمد فاضلي

---

١. *المنتخب من أدب العرب*؛ ص ى، بتصرّفٍ يسير.